الحزب الشيوعي هذه ، علما بأني أقوم ، من خلال هذا العرض ، بنقد الحزب وبنقد وجهات نظري القديمة التي كنت اعتنقها شخصيا والتي اعتبرها مرحلة انتقالية في نمو مواقفي السياسية كما في نمو المواقف السياسية لمعظم اعضاء منظمتنا . واعني هنا ، طبعا ، الاعضاء اليهود لان الاعضاء العرب لم يكونوا ضحية للاوهام الصهيونية الى الدرجة مثلما كنا نحن . مع ذلك ان ما قلته ينطبق، الى حد ما، على الاعضاء العرب كذلك اذ ان عددا كبيرا منهم كان منتسبا الى الحزب الشيوعي كما انه معروف ان عددا كبيرا من العرب هم اعضاء حتى الان في الحزب .

ان اول ما ينبغي ان نفهمه بالنسبة لموقف الحزب الشيوعي في الماضي والحاضر هو انه يقيس كافة الامور بمعيار بسيط واحد هو صلة القضية المعنية بالاتحاد السوفياتي . وقد يبدو هذا الوصف فجا ولكن هذا ما كان يحدث في الواقع . اضرب مثلا صغيرا هنا . لو راجعنا مناقشات البرلمان الاسرائيلي عام ١٩٥٠ المتعلقة بالبيان الثلاثي (اي بيان الدول الكبرى بضمان الحدود كما كانت عليه يومئذ بين اسرائيل والدول العربية) وهو وثيقة مهمة جدا في التاريخ المعاصر للشرق الاوسط ، لوجدنا ان الحزب الشيوعي وقف ضد البيان لانه رأى فيه مناورة سياسية ضد الاتحاد السوفياتي فقط . لا شك ان البيان كان جزءا من الستراتيجية الامبريالية الموجهة ضد الاتحاد السوفياتي ولكن كان له ايضا مضامين اخرى مهمة ومتنوعة بالنسبة للمنطقة العربية نفسها مما لا نجد له اي ذكر في معارضة الحزب الشيوعي للبيان . كان البيان الثلاثي يبغي ايضا المحافظة على الوضع القائم في المنطقة عام ١٩٥٠ وتصفية القضية الفلسطينية نهائيا . كانت كل هذه الاشياء متضمنة في البيان الثلاثي ولكن الحزب الشيوعي لم يعلق على اي منها . في الواقع لم يكن بمقدوره ان يفعل ذلك لانه كان يحاكم كل شيء على اساس المقياس الذي ذكرته .

لا شك ان الحزب الشيوعي معاد للصهيونية . والسبب الرئيسي لموقفه هذا هو كون الصهيونية متحالفة مع الامبريالية ضد الاتحاد السوفياتي . طبعا هذا موقف سليم ضمن حدود معينة ولكنه غير كاف . من ناحية اخرى يفتقر الحزب الشيوعي الى اي تحليل للصهيونية كحركة استعمارية بحد ذاتها. اي ان الحزب لا يواجه الصهيونية الا من خلال سياستها الخارجية ، اي من خلال علاقاتها بالقوة الدولية . اما بالنسبة للديناميكية الداخلية للصهيونية فليس لدى الحزب اي شيء ليقوله ، كما انه لا يفكر بهذه الطريقة أصلا . وبما ان الحزب الشيوعي يرفض النظر الى الديناميكية الداخلية للحركة الصهيونية والصدام الذي ولدته على ارض فلسطين قبل العالم العربي يبقى الحل الذي يقدمه للنزاع محصورا ضمن حدود الاعتراف بالحقوق المشروعة لكلا الشعبين : العربي الفلسطيني والشعب الاسرائيلي . هذه معادلتهم لحل القضية الفلسطينية . وكان هذا موقفي انا في عام ١٩٦٢ كما كان الموقف الذي كانت تتبناه ضمنا منظمة ماتزبن . كان ذلك واضحا في الاعداد الاولى من مجلة ماتزبن حيث كنا نؤيد حق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة مثلا ولكن لم يكن هناك اي نقد راديكالي للحركة الصهيونية يبدأ بتحليل تاريخها ومن ثم يواجهها من خلال تطورها لكشف طبيعتها وما فعلته في فلسطين منذ نشأتها .

بين الاعوام ١٩٦٣ — ١٩٦٦ تطور موقفنا باتجاه تبني هذا النقد ، ولا اعتقد ان هذا التطور جرى تحت تأثير اية عوامل او احداث خارجية كبيرة بل جاء نتيجة تحرير انفسنا من اساليب التفكير السائدة في الحزب الشيوعي حول كافة القضايا السياسية. لم نعد نحاكم كل شيء وفقا لعلاقته بالاتحاد السوفياتي . من هنا شعرنا بضرورة ملحة لفهم الصهيونية وتحليلها بحد ذاتها اذ كنا نعرف منذ البداية ارتباطها بالامبريالية ، وكلنا عاصر العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ . ولكن السؤال الذي طرحناه على انفسنا هو : ما هي العوامل الكامنة في الصهيونية التي تجعلها حليفا طبيعيا للامبريالية ؟ ما هو تاريخ الاستعمار الصهيوني في فلسطين ؟ أصبحت هذه التساؤلات قضايا في غاية الاهمية بالنسبة لنا وشرعنا في دراستها وطورنا خطا سياسيا حولها . ليس بامكاني ان اشرح هنا هذا الخط ولكنه موجود في الوثائق المتعددة التي نشرناها. بالنسبة للاستنتاجات الاولية التي توصلنا اليها في هذا الميدان حوالي عام ١٩٦٦ فهي موجودة في نشرة « اسرائيل الاخرى » حيث حاولنا تقديم تحليل للصهيونية كحركة استعمارية تمتلك ديناميكية خاصة بها ، أي انها ليست أداة سلبية محض بيد الامبريالية وانما تتصف بقوانين حركتها الخاصة بها التي تدفعها بالضرورة الى حلف دائم مع الدولة الكبرى التي تكون مسيطرة في الشرق الاوسط .